سياسة محمد على في معاملة الأسرى
١٨٠٧ - ١٨٣٩

دكتور . السيد سيد احمد توفيق دياب
كلية الآداب - جامعة طنطا

سياسة محمد على فى معاملة الأسرى

من ١٨٠٧ - ١٨٣٩

د . السيد سيد أحمد توفيق دياب

خاضت مصر فى عهد محمد على عدة حروب للدفاع عن نفسها ، ولتدعيم نفوذ الدولة العثمانية صاحبة السيادة عليها ، وذلك فى المناطق التى تضطرب أحوالها وتسعى لنيل استقلالها ونبذ السيطرة العثمانية ، أو من أجل تحقيق أهداف محمد على وطموحاته .

وفى أثناء هذه الحروب وقع فى حوزة قوات محمد على العديد من الأسرى ، وهذا البحث يهدف إلى تقديم دراسة موضوعية حضارية ، عن تاريخ مصر فى عهد محمد على من خلال البحث فى معاملة أسرى المعارك والحروب خلال هذه الفترة ، مبيناً كيف اختلفت هذه المعاملة باختلاف الوضع السياسى أو هدفه من هذه الحروب .

وفى حقيقة الأمر فإن هذا البحث لايهدف إلى الدفاع عن محمد على ، بل إلى رسم صورة واقعية لسياسته فى معاملة الأسرى ، ومما يجدر الإشارة إليه أن معرف الأعداد الحقيقية لأسرى هذه الحروب أمر لايخلو غالباً من المبالغة ، لذا سوف يتم الاهتمام بما اتبع فى معاملة هؤلاء الأسرى .

١ - حملة فريزر ١٨٠٧

تعد حملة فريزر Fraser على مصر (مارس - سبتمبر ١٨٠٧) أول حرب دفاعية خاضتها مصر للزود عن كيانها ، ومنع سيطرة بريطانيا عليها ، والثابت أن الزعامة الشعبية لمصر مجسدة فى شخص السيد عمر مكرم - أثناء غيبة محمد على عن عاصمة البلاد مطارداً للمماليك فى الصعيد - قد لعبت دوراً بارزاً فى حث أفراد الشعب على التطوع والاستعداد لعرقلة تقدم القوات البريطانية صوب القاهرة ، خاصة وأن هذه القوات كانت قد تحركت من الأسكندرية إلى رشيد للسيطرة عليها ، إلا أن استبسال حامية رشيد وشجاعة سكانها ، أجبرت البريطانيين على الإرتداد عنها عقب هزيمتهم فى ٣١ مارس سنة ١٨٠٧ ، وبعودة محمد على إلى القاهرة فى ١٢ أبريل

سنة ١٨٠٧ ، بعد اتفاقه مع المماليك - مضطراً - على أن يترك لهم حكم الصعيد مؤقتاً ، بدأ فى دراسة الموقف ، وحشد القوة المناسبة للدفاع عن رشيد إذا حاول البريطانيون اقتحامها ثانية ، ثم كانت معركة الحماد فى ٢١ ابريل سنة ١٨٠٧ وفيها هزم البريطانيون ، وبذا فإن المحاولتين البريطانيتين تحت قيادة ويكوب Wauckope وستيوارت Stuart باءتا بهزيمة قاسية .(١)

وفى خلال هاتين المعركتين وقع البعض من الجنود البريطانيين أسرى فى أيدى القوات المصرية وقد بلغ عددهم فى رشيد ١٢٠ أسيراً وفى الحماد ٤٠٠ أسيراً.(٢)

هؤلاء الأسرى تم إرسالهم تباعاً إلى القاهرة ، ويشير الجبرتى إلى ذلك عند تسجيله لحوادث شهر صفر سنة ١٢٢٢ هجرية / أبريل سنة ١٨٠٧ حيث يقول : « وفى يوم الجمعة خامس عشرة حضروا بأسرى وعدتهم تسعة عشر شخصاً ... وفى يوم السبت وصل أيضاً تسعة أشخاص أسرى من الإنجليز وفيهم فسيال (*) وفى يوم الأحد وصل أيضاً نيف وستون .. وفى يوم الأربعاء وصل إلى ساحل بولاق مراكب وفيها أسرى »(٣) . الأمر الملاحظ أن هؤلاء الأسري لم يكونوا كلهم من الجنود وصف الضباط ، بل كان منهم عشرون ضابطاً .(٤) بعضهم من ذوى الرتب العليا مثل الميجور مور Moor والميجور وجلسند Wogelsand (٥) .

ولقد تم إستعراض الأسرى فى شوارع القاهرة خلال المسافة من بولاق إلى القلعة ،

---

(١) Marlowe, J.: Anglo Egyption relations 1800-1953,p.34

(٢) عبد الرحمن زكى : التاريخ الحربى لعصر محمد على الكبير ، ص ٢٥ ، ٢٦ ؛ عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، الطبعة الرابعة ، ص ٦١ ، ٧٢ ؛ محمد عبد الرحمن حسين : نضال شعب مصر ١٧٩٨ - ١٩٥٦ ، ص ٣٠ ، ٣٤ .

(*) فسيال معناها ضابط فى جيش أوروبي ، وهى مأخوزة من الكلمة الإيطالية Uffiziale ويجمعها الجبرتى فسيالات ويجمعها المعلم نقولا فى مذاكرته فستالية . عبد العزيز محمد الشناوى : عمر مكرم بطل المقاومة الشعبية ، أعلام العرب ، رقم (٦٧) ، ص ١٩٩.

(٣) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، جـ ٤ ، ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٤) عبد الرحمن الجبرتى : نفس المصدر ، ص ٥٤ .

(٥) عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ، ص ٢٦ .

وفى ميدان الأزبكية مر الأسرى بين صفين من الناس [١] ومما لا شك فيه أن مشاهدة الأهالى للأسرى البريطانيين ، كان له أثره فى ارتفاع معنوياتهم وشعورهم بالفرحة وثقتهم فى مقدرة محمد على على الصمود أمام البريطانيين ، وحرصاً من جانب محمد على على مشاركة الأهالى فرحتهم وتأكيداً لانتصاره على البريطانيين فى رشيد والحماد فقد أصدر أوامره بإطلاق المدافع من القلعة والأزبكية وبولاق والجيزة [٢] .

ويمكن القول : بأن ذلك كان بمثابة إنذار للمماليك لدفعهم على عدم تقديم أية مساعدة للبريطانيين ، خاصة وأنهم كانوا يراقبون الموقف منتظرين ماسوف يسفر عنه اللقاء بين البريطانيين ومحمد على .

وفى القلعة تم التحفظ على هؤلاء الأسرى ، ثم صدرت أوامر محمد على تحث على العناية بهم ، وتقيع الكشف الطبى عليهم ، وتقديم العلاج المناسب للمصابين منهم ، وتوفير سبل المعيشة الكريمة لهم كل حسب رتبته ، ومما تجدر الإشارة إليه أن القنصل الفرنسى فى مصر - دورفتى Dorvitte- أشرف بنفسه على العناية بالأسرى البريطانيين ، حيث يشير الجبرتى إلى ذلك « ولما أصعدوا الأسرى إلى القلعة طلع إليهم قنصل الفرنساوية ومعه الأطباء لمعالجة الجرحى ومهد لهم مفروشات ورتب لهم تراتيب وصرتف عليهم نفقات ولوازم واستمر يتعاهدهم فى غالب الأيام والجرائحية يترددون لمداواتهم » [٣] هذا ولقد تعززت رواية الجبرتى عن اعتناء محمد على بأسرى رشيد والحماد برواية إدوار چوان الذى أشار إلى أن محمد على عامل الأسري معاملة حسنة ، وخفف عنهم ماأصابهم من قسوة الجنود الذين تولوا حراستهم من رشيد والحماد إلى القاهرة [٤] .

ومما يذكر فى هذا الشأن أن محمد على نما إلى علمه أن أحد الأسرى ، أسيئت معاملته من جانب حارسه ، الأمر الذى دفع هذا الأسير للتحايل أملاً فى التخلص من

---

(١) إدوارد جوان : ترجمة محمد مسعود ، مصر فى القرن التاسع عشر ، ص ٣٨٤ .
(٢) عبد العزيز محمد الشناوى : المرجع النسابق ، ص ١٩٧ .
(٣) عبد الرحمن الجبرتى : المصدر السابق ، ص ٥٥.
(٤) إدوارد چوان : المرجع السابق ، ص ٣٨٥ .

قيود الأسر ، بأن ادعى ملكيته لورقة مالية من فئة ألف قرش أسبانى - ثبت فيما بعد زيفها - وأن حق صرفها موكول إلى القنصل الفرنسى بالقاهرة ، وعندما تقابل القنصل الفرنسى مع هذا الأسير أدرك حقيقة إدعاء هذا الأسير ، وأنه يرغب فى فك قيود أسره ، لذا سعى لدى محمد على لإطلاق سراحه ، وبالفعل قبل هذا المسعى ، وأطلق سراحه ، حيث إفتدى هذا الأسير من ماله الخاص [١] . إذ أن السائد آنذاك أن الجندى أو الضابط الذى يكون فى حوزته أسير يصبح مملوكاً له [٢].

وبطريقة مبادلة الأسرى بين الطرفين ، أمر محمد على إطلاق سراح ضابط بريطانى أسير ، وإرساله إلى مقر قيادته بالأسكندرية ، مقابل إطلاق سراح أحد رعايا الدولة العثمانية ، أعتقد أنه وقع فى أسر البريطانيين . غير أن هذا الضابط أعيد إلى القاهرة ، حيث إن الشخص المطلوب مبادلته به لم يكن أسيراً لدى البريطانيين ، وإنما كان قد سبق له مغادرة مصر إلي الشام قبيل إستيلاء البريطانيين على الأسكندرية ، ورداً على هذا السلوك من جانب البريطانيين قام محمد على بإعادة الضابط الأسير بلا مقابل [٣] . وإن دل هذا الأمر علي شيء إنما يدل على أن البريطانيين لم يحاولوا انتهاز الفرصة السانحة لهم ويبقوا هذا الضابط الأسير خشية أن يترتب علي ذلك سوء معاملة محمد على لما لديه من أسرى وفى الوقت ذاته فإن محمد على كان يطمع فى إقامة علاقات طيبة مع البريطانيين - إذ أنه لم ينخدع بما تحقق من إنتصار على البريطانيين فى رشيد والحماد - وللوصول إلى هذه الغاية أدرك أن حسن معاملة الأسرى البريطانيين هو السبيل إلى ذلك .

على أية حال فقد سيطرت قضية تبادل الأسرى على بنود اتفاقية الجلاء التي وقعها الجنرال شربروك Scherbrook مع محمد على فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٧ والتى قضت بجلاء القوات البريطانية عن الأسكندرية فى مقابلة استعادة أسراهم وجرحاهم .[٤] حيث نص البند الثانى على إطلاق الحرية التامة للأسرى البريطانيين

(١) إدوار جوان : نفس المرجع ، ص ٣٨٦ .
(٢) إدوار جوان : نفس المرجع ، نفس الصفحة .
(٣) عبد الرحمن الجبرتى : المصدر السابق ، ص ٥٦ ، ٥٨.
(٤) محمد عبد الرحمن حسين : المرجع السابق ، ص ٣٥ ؛ عبد العظيم رمضان : تاريخ الأسكندرية فى العصر الحديث ، تاريخ المصريين العدد (٦١) ص ٨٩

بعموم القطر المصرى ، وأن يتم تجمعهم فى ميناء رشيد قبل الصعود بهم إلى السفن ، وعندها يطلق البريطانيون سراح مالديهم من رهائن [١] . كما روعى فى البند الخامس علي أن يتم تسليم الأسري البريطانيين الموجودين قريباً من مسرح الأحداث فوراً ، أما الذين تحول ظروف وجودهم فى أماكن بعيدة دون تسليمهم مباشرة ، فقد أتفق على إقامة مندوب بريطانى بمدينة الأسكندرية لتسلمهم فيما بعد [٢]. وفى حقيقة الأمر فإن محمد على لم يحاول عرقلة جلاء القوات البريطانية عن مصر برفض إطلاق سراح الأسرى [٣] بل وافق على تسليم جميع الأسرى وزاد على ذلك بأن أرسل بعض الأفراد من خاصته كرهائن وهم : مصطفى بك صهر محمد على وخاله إسحاق بك ومهرداره (حامل الأختام) سليمان أفندى ، حيث أقاموا جميعاً فى إحدى السفن البريطانية فترة تسليم الأسرى البريطانيين [٤] .

هذا ويمدح كلوت بك Clot Bey محمد على على هذا السلوك الحضاري إذ يرى أنه أضاف لنفسه فخراً أحرزه بتسامحه فى إعادة جميع الأسرى البريطانيين دون أن يطالب بفديتهم [٥] . وكما سبقت الإشارة فإن إقدام محمد على على ذلك لم يكن إلا بدافع الخشية من بريطانيا التى مافتئت تدبر المكائد ضده .

ومما تجدر الإشارة إليه أن حسن معاملة الأسري البريطانيين دفعت البعض منهم إلى رفض العودة لبلادهم والبقاء فى مصر والدخول فى الإسلام ، مثل توماس كيث Thomas Kith الذى أسر أثناء حملة فريزر مع أفراد فرقته التى كان يعمل بها مصلحاً للبنادق ، وبعد إسلامه أصبح يعرف باسم إبراهيم أغا[٦].

---

(١) Marlowe,J. : op.cit,p.34.

(٢) عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ، ص ٢٧.

(٣) عبد الرحمن زكى : نفس المرجع ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٤) عبد الرحمن زكى : نفس المرجع ، ص ٢٧ .

(٥) كلوت بك : تعريب محمد مسعود ، لمحه عامة إلى مصر ، القسم الأول . ص ١٠٦.

(٦) مع الأيام ترقى فى سلك الجيش المصري ، حتى صار رئيساً لفرقة المماليك فى جيش طوسون ثم صاحب الخزانة وحارب فى المدينة وتربه وعين حاكماً للمدينة فى ابريل سنة ١٨١٥ ، بيير كرابيتس : ترجمة محمد بدران ، ابراهيم باشا ص ٢١ : چوهان لودفيج بوركهارت : ترجمة عبد الله الصالح العثيمن ، مواد لتاريخ الوهابيين ، ص ١١٨ ، ١١٩ .

٢ - الحرب الوهابية (*) ١٨١١ - ١٨١٨ .

وفى خلال السنوات الأولى من عهد محمد على ، شاركت القوات المصرية فى إخماد الحركة الوهابية فى شبه الجزيرة العربية ، والجدير بالذكر أن طلائع القوات المصرية التى نقلت بحراً إلى شبه الجزيرة العربية لم تصادفها أية صعوبات فى النزول بثغر ينبع والاستيلاء عليه ، خاصة وأن الشريف غالب بن مساعد شريف مكة تراجع نحو مكة مما يسر لطوسون تحقيق النصر على القوة الموجودة فى ينبع ، حيث إن عددها لم يكن يتجاوز الثلاثمائة فرد ، فوقعوا جميعاً مابين قتيل وأسير .[١]

عزم طوسون على فتح الطائف فى أواخر يناير ١٨١٣ ، وكان يتولى الدفاع عنها عثمان المضايفى ، الذى بادر بالخروج منها عندما وصلته أنباء اتجاه طوسون إليها ، واحتى بقلع بسل التى تقع بين الطائف وتربه . [١] وعندما علم الشريف بوجود المضايفى هناك - تعاون الشريف غالب وقبائل عرب الحجاز مع طوسون - أرسل إليه جماعة قوية من الجنود أحاطت بالقلعة وأشعلت فيها النيران ، مما دفع المضايفى وثلاثون من أعوانه للخروج من القلعة وهم متخفين فى زى البدو ، ثم لجأ إلى خيمة بدوى من قبيلة عنيبة ، غير أن هذا البدوى ألقى القبض عليه وقام بتسليمه إلى الشريف الذى منحه المكافأة

(*) تنسب دعوة التوحيد التى ظهرت فى نجد فى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذى دعا إلى عودة المسلمين فى سلوكهم إلى ماكان عليه المسلمون الأوائل ، زمن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، والصحابة والخلفاء الراشدين ، وأخذت الدعوة طريقها الصحيح والقوى منذ تحالف الشيخ محمد عبد الوهاب مع الأمير محمد بن سعود أمير الدرعية و ذلك سنة ١٧٤٣ ، وسرعان مانتشرت دعوة التوحيد فى بلاد نجد مثل العارض والوشم وسدير وحائل والخرج والأفلاج والحريق ، ووصلت طلائعها إلى الأحساء وعمان وبادية الحجاز وعسير واليمن ، وكانت دعوته الشعلة الأولى للدعوات الإصلاحية فى العالم الاسلامى ، فقد تأثر بها رجال الإصلاح فى الهند ومصر والعراق والشام وسماهم خصومهم الوهابيين ، وشاعت التسمية الأخيرة عند الأوربيين ، واعتبرها بعضهم مذهباً جديداً فى الإسلام . عبد العزيز عبد الله آل الرشيد : جهود الملك عبد العزيز فى خدمة العقيدة الإسلامية ، ص ١٠، ١١ ؛ رأفت غنيمى الشيخ : مسيرة مصر والسعودية تحقيق لهدف عربى إسلامى واحد ، ندوة العلاقات المصرية السعودية ، ص ٤٩ ، ٥٠ .

(١) عبد الرحمن زكى : المرجع السابق . ص ٤٦ ، ٤٧ ، عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ، ص ١٢٧ ؛ السيد سيد أحمد توفيق دياب : البحرية المصرية خلال فترة حكم الخديو إسماعيل ١٨٦٣ - ١٨٧٩ ، رسالة ماچستير غير منشورة ، ص ١٣.

(٢) عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ، ص ٤٩ .

التى وعد بها من قبل وأثقل أسيرة بالقيود [١] . وعقب ذلك قام الشريف بتسليم المضايفى إلى طوسون ، ونظراً لأن المضايفى كان يعد من أكبر قواد ابن سعود ، فقد حاول أن يفتديه ، إلا أن هذه المحاولة باءت بالفشل لأن المضايفى نقل إلى مصر ومنها أرسل إلى الأستانة بصحبة نجيب أفندى قبوكتخدا (*) الوالى [٢].

تعد واقعة بسل فى يناير سنة ١٨١٥ من أهم الوقائع فى تاريخ الحرب الوهابية [٣] . حيث إنها حسمت القتال لصالح قوات محمد على ، فعلى أثرها بدأ العد التنازلى إيذاناً بقرب إنتهاء مقاومة الوهابيين ، ومن ناحية أخرى فلقد قتل فى هذه الواقعة أعداد كثيرة من الوهابيين بالإضافة إلى أسر ثلاثمائة فرد ، والجدير بالذكر أن سلوك محمد على فى معاملته لهؤلاء الأسرى كان مختلفاً تماماً مع معاملته للأسرى البريطانيين من قبل ، حيث نكل بهؤلاء الأسرى بصورة وحشية . وتجلى ذلك فى قتله خمسين رجلاً على منهم أبواب مكة بوضعهم على الخازوق ، هذا في الوقت الذى لقي فيه إثني عشر فرداً من الأسري موتاً مروعاً عند أماكن الاستراحة العشر التي تقع علي الطريق بين مكة وجدة ، وما بقي منهم كان مصيرهم لايختلف عن مصير إخوانهم الذين أعدموا عند باب جده وتركوا هناك حتى نهشت النسور جثثهم [٤] وفى سنة ١٨١٨ أسر شيخان من الوهابيين ، قام إبراهيم بحلق لحيتيهما وخلع أسنانهما ، وبهذا عرضهما للسخرية [٥] وهنا يظهر تساؤل لماذا إتبع محمد على هذا الأسلوب مع هؤلاء الأسرى ؟! إن الإجابة عن ذلك تكمن فى رغبة محمد على فى القضاء على روح المقاومة لدى الوهابيين ، ويشعرهم بأن هذا المصير نصيب كل من يستمر فى المقاومة ، وأن محمد على خدع فى الدعاية العثمانية أن الوهابيين يسعون لتعطيل شعائر الدين

---

(١) چوهان لودفيج بوركهارت : المرجع السابق ، ص ١٢٨.

(*) القبوكتخدا : هو المعتمد بتسريع أشغال الولايات فى دوائر مقر السلطنة العثمانية ، محمد على الأنس : قاموس اللغة العثمانية ، الدرارى اللامعات فى منتخبات اللغات ، ص ٤١٢ .

(٢) أمين سامى : تقويم النيل ، الجزء الثانى ، الطبعة الأولى ، نص ٢٤٥ .

(٣) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(٤) چوهان لودفيج بوركهارت : المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

(٥) Dodwell, H.: The founder of modern Egypt, study of Mohamad Ali,P.49.

الإسلامى ، وفى حقيقة الأمر فإن الوهابيين لم يمنعوا الحجاج وهم فى طريقهم إلى الأماكن المقدسة . ومن ناحية ثانية فإن محمد على لم يخش بأسهم مثل بريطانيا .

هذا ولقد شدد إبراهيم باشا الحصار حول الدرعية عاصمة الوهابيين لمدة ستة شهور ، الأمر الذي دفع عبد الله بن سعود للتوقيع على السلح فى ٩ سبتمبر سنة ١٨١٨ ، والتعهد بتسليم الدرعة في مقابل تأمينهم على أنفسهم ، ثم سلم نفسه إلى إبراهيم باشا ، والجدير بالذكر أن ابراهيم باشا عامل عبد الله بن سعود معاملة حسنة ، فعندما جيء به إليه خاطبه بقوله : إني خادم سلطان الأستانه وله وحده أن يتصرف في أمرك ، أما أنا فلا أملك هذا الحق ،وستسافر إلى مصر لتنتظر فيها أمر السلطان و ستكون فيها موضع الإجلال والتعظيم ، وعامل ابراهيم مثل هذه المعاملة الطيبة فلم يقتل أحداً منهم [١] . وهذا التصرف إنما يؤكد ماسبقت الإشارة إليه من أن محمد على كان مضطراً لمعاملة أسرى بسل معاملة وحشية ، فالآن وبعد أن انتهت العمليات العسكرية فإن إبراهيم كان من الطبيعى أن يعاملهم معاملة حسنة تاركاً مصيرهم إلى السلطان العثمانى صاحب السيادة على البلاد ، لذا نقل ابن سعود إلى مصر التى وصلها فى السابع عشر من المحرم سنة ١٢٣٤ هجرية الموافق السادس عشر من نوفمبر سنة ١٨١٨[٢] .

وعلى منوال معاملة ابراهيم الطيبة لعبد الله بن سعود فالثابت أن معاملة محمد على له عندما وصل إلي القاهرة لم تكن تختلف عن ذلك ، بل إن محمد علي أكرم وفادته ، حيث سمح له بأن يقيم فى قصر اسماعيل باشا واستقبله فى قصره بشبرا[٣] ،بأحسن مايكون الاستقبال رغم طول الحرب الوهابية وما تكلفه محمد على من نفقات فى سبيل قمع الحركة الوهابية ، لأن الأمر لم يخل من فائدة نالها محمد على من جراء إرسال قواته إلى شبه الجزيرة العربية ، وعقب ذلك أمر محمد على بترحيله إلى الأستانة [٤] حيث كان مضطراً لتنفيذ أوامر السلطان العثمانى ، والجدير بالذكر أن عباس باشا عندما كان يشغل منصب نائب الوالى دبر أمر هروب أفراد أسرة بن سعود الموجودين فى

---

(١) بيير كرابيتس : المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(٢) أمين سامى : المرجع السابق ، ص ٢٧٦ ؛ عبد الرحمن الرفاعى : المرجع السابتق ، ص ١٥١ .

(٣) أمين سامى : المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

(٤) عبد الغفار محمد حسين : بناء الدولة الحديثة فى مصر ، الجزء الأول ، ص ١٨٣ .

القاهرة ، وكان لهذه المحاولة أثرها الطيب فى إقامة علاقة طيبة ربطت بين عباس باشا وفيصل بن سعود ، حيث كان بمقدور رجال عباس عباس باشا أن يتمتعوا بالأمن في كافة نواحى شبه الجزيرة العربية ولايتعرض لهم أحد بسوء ، وظل عباس باشا وفيصل بن سعود إلى نهاية حياتهما أخوين متصادقين .[١]

٣ - حرب المورة ١٨٢١ - ١٨٢٨ .

كانت بلاد اليونان جزءاً من السلطنة العثمانية ،ظلت على هذا الحال ، إلي أن ظهرت فيها بوادر الثورة ، حيث تألفت الجمعيات الثورية لتنظيم الثورة واستمالة الرأى العام فى أوربا ، والعمل علي تحرير البلاد من الحكم العثمانى ، وعندما بثت التعاليم الثورية لبى اليونانيون نداء الثورة ووجهوا الضربات المتوالية للجيش العثمانى فى البر والبحر مما أقلق السلطان العثمانى محمود الثانى ، فطالب محمد على بإرسال القوات المصرية لإخماد هذه الثورة ، وبالفعل نجح الجيش المصرى فى إخماد الثورة في كريت التى دخلت تحت الحكم المصرى ، ولما كانت الحرب فى بلاد المورة حتى ١٨٢٣ سجالاً بين الجيش العثمانى والثوار فقد طلب السلطان العثمانى من محمد على المشاركة فى إخماد الثورة من خلال الفرمان الذى أصدره يحثه فيه على ذلك ويوليه حكم المورة [٢] وفى حقيقة الأمر فإن السلطان العثمانى اضطر إلى هذا الطلب ، بعد أن فشلت أربع حملات عثمانية فى إخضاعهم [٣] فرأى محمد على أنه من المناسب له ألا يدع هذه الفرصة تفلت من يده ، فلبى طلب السلطان بإرسال حملة إلى بلاد المورة للحصول على رضا السلطان [٤] . وفى سنة ١٨٢٤ أرسلت القوات المصرية إلى المورة للمشاركة بجانب القوات العثمانية فى إخماد الثورة ، ولقد خاضت القوات المصرية حروباص برية وبحرية استمرت أربع سنوات من ١٨٢٤ إلى ١٨٢٨ [٥] وبعيدا عن التفصيلات الدقيقة

---

(١) الأمير محمد على : مجموعة خطابات وأوامر خاصة بالمغفور له عباس باشا الأول ، ص ٥.

(٢) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ، ص ١٨٩ - ١٩٣ .

(٣) محمد محمود السروجى : الجيش المصري فى القرن التاسع عشر ، ص ٢٢.

(٤) أحمد فريد على مصطفى : توسع مصر فى الشام وأثره فى موقف الدول من المسألة المصرية فى عصر محمد على ١٨٣١ - ١٨٤١ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، ص ٢٢ .

(٥) عبد الجواد صابر إسماعيل : حرب المورة الجولة الأولى ١٨٢٣ - ١٨٢٥ . دراسة وثائقية ، الطبعة الأولى ، ص ١٤ .

للعمليات العسكرية فى كلاماتا Kalamata ، أركاديا Arcadia ، تريبولتزا Tri-paltza وميسولونجى Messolongy فالثابت أنه قد وقع فى أيدى القوات المصرية العديد من الأسرى اليونانيين ، وباستمرار فإن الأخبار المتعلقة بتحقيق الانتصارات والقبض على الأسرى اليونانيين كانت تبلغ للسلطان العثمانى حيث أرسل محمد على إلى نجيب أفندى قبوكتخداه لدى السلطان العثمانى بأن حسين بك قائد القوات المصرية، طاف نواحى كريت وقتل العصاه الذين صادفهم وأسره ثلاثة آلاف شخص. (١) ولما كانت جزيرة قاشوط التى تقع بين رودس وكريت تعد معقلاً هاماً من معاقل الثورة اليونانية فقد رأى من الضرورى أن يوجه إليه حملة قوية لردع الهجمات التى تخرج منها ، ونجح حسين بك فى بسط سيطرة القوات المصرية على هذه الجزيرة بعد أن دمرها بالمدفعية وترتب على ذلك مصر أعداد كثيرة من اليونانيين وأسر مايزيد على ألف مقاتل (٢) .

والواقع أنه كان يتم نقل بعض الأسرى اليونانيين إلى مصر ، وذلك تخلصاً من أمر إعالتهم أو حراستهم . (٣) ولما كانت أعداد هؤلاء الأسرى كثيرة حيث يقدر البعض عددهم بثلاثة آلاف أسير (٤)، لذا فقد صدر أمر بإعداد سفينتين لنقلهم للأسكندرية (٥) وفى بعض الأحيان كان يتم إطلاق سراح البعض من الأسري اليونانيين مقابل إطلاق سراح الأسرى العثمانيين والمصريين .

ومما يذكر فى هذا الشأن إطلاق إبراهيم باشا لسراح ابن أمير مينون Minon وغيره من الأسرى البالغ عددهم ثمانون أسيراً ، مقابل إطلاق سراح نامق على باشا وأولاده الثلاثة وأهله وكتخداه وأمير الأمراء سليم باشا ومن معهم وعددهم ثمانون

---

(١) معية تركى : دفتر ١٣ وثيقة رقم ٢١١ بتاريخ ٩ من ربيع الأول ١٢٣٩ (١٣ نوفمبر ١٨٢٣) ص ٩٨ من محمد على باشا إلى نجيب أفندى

(٢) عبد الجواد صابر إسماعيل ت: المرجع السابق ، ص ٧٢ .

(٣) جميل عبيد : قصة إحتلال محمد على لليونان ١٨٢٤ - ١٨٢٧ ، تاريخ المصريين رقم (٣٩) ، ص ١١٤.

(٤) Dodwell. H.: op cit, p. 79.

(٥) معية تركى : دفتر ١٦ وثيقة رقم ٧٢ بتاريخ ٣ من ربيع الثانى ١٢٣٩ (٧ ديسمبر ١٢٨٣) من الجناب العالى إلى باشيوغ كريد ، كتبت صوره منه إلى وكيل قائد الأسطول المصرى .

فرداً ، كانوا قد وقعوا فى أيدى اليونانيين [١] والجدير بالذكر أن اليونانيين كانوا يقبلون إطلاق سراح الأسرى العـاديين من العثمانيين والمصريين ويتمسكون بمن لهم مكانه سياسية وعسكرية [٢] بهدف استخدامهم كوسائل ضغط تستخدم بأحسن مايكون الاستخدام لإطلاق سراح المزيد والمزيد من الأسرى .

ونظراً لأن حصار نفارين Navarinإستغرق وقتاً طويلا ، فإن إبراهيم باشا عمد إلى مهاجمتها بنفسه على رأس القوات التى كلفت بهذه المهمة ، وفى طريقه إلى نفارين هاجمه ٣٥٠٠ يونانى جاءوا لنجدوا حامية نفارين إلا أن ابراهيم باشا ومن معه ألحقوا بهم الهزيمة وأسروا قائدهم ، وشددوا الحصار براً وبحراً ، وبالجملة كانت هذه العمليات العسكرية بمثابة نصراً كبيراً وفوزاً عظيما للقوات المصرية التى إستولت على كميات ضخمة من الأسلحة وأسروا عدداً من الجنود بينهم كثير من الضباط [٣].

وعندما لاح فى الأفـق أن كفـة القـوات المصرية فى المورة هى الأرجـح وأن الثورة اليونانية فى سبيلها للانحسار تدخلت الدول الأوربية ،وحشدت قواتها فى ميناء نفارين ، وعقب ذلك حدثت معركة نفارين البحرية التى ترتب عليها فقد الدولة العثمانية ومصر لأسطولهما البحريين ، مما كان له أثره فى دفع محمد على للخروج من القتال وسحب القوات المصرية من المورة والجلاء وفق الشروط التالية : [٤]

١ - تعهد والى مصر بإعادة جميع الأسرى من يونانيين وغيرهم .

٢ - تعهد أمير البحر البريطانى بإعادة جميع الأسرى من مصريين وغيرهم مع السفن التى أخذها فى الحرب .

---

(١) محفظة (١٠) بحر برا : ترجمة المكاتبة الواردة إلى المعية السنية بتاريخ ٢٧ من ربيع الأول ١٢٤٠١ (٩ نوفمبر ١٨٢٥) رقم ٣٤٣ .

(٢) عبد الجواد صابر إسماعيل : المرجع السابق ، ص ٢٤ .

(٣) عبد الرحمن زكى : حرب المورة ونصيب مصر فيها ١٨٢١ - ١٨٢٧ ، مجلة الجيش ، المجلد الحادى عشر : العدد الأربعون ، ص ٧٥ ؛ محمود السيد عبد العال : أسطول مصر الحربى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، رسالة ماچستير غير منشورة ، ص ٣٢ .

(٤) إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عند دول البحار ،الجزء الثانى ، ص ٣٤٠ ؛ أحمد فهيم بيومى حرب كريت والمورة ، ذكرى البطل ، الفاتح إبراهيم باشا ١٨٤٨ - ١٨٤٩ ، ص ٢٧٤ ؛ محمود السيد عبد العال : المرجع السابق ، ص ٣٥٨ ؛ عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

٣ - إخلاء القوات المصرية لشبه جزيرة المورة ونقلها إلى مصر على السفن المصرية .

٤ - أن تكون السفن المصرية فى حالة ذهابها وإيابها فى حراسة السفن الفرنسية والبريطانية .

٥ - أن لايجبر اليونانيون المقيمون فى مصر على تركها إذا لم يكونوا مكرهين على البقاء فيها

ومن خلال هذه الشروط يتضح أنه تم الاتفاق على ضرورة إعادة جميع الأسرى اليونانيين الذين سبق نقلهم إلى مصر ، وفى المقابل إعادة الأسرى المصريين الذين هم فى حوزة اليونانيين أو حلفائهم ، وبذا يظهر أن عملية تبادل الأسرى بين الجانبين كان لها نصيب وافر فى توقيع إتفاقية جلاء القوات المصرية عن شبه جزيرة المورة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن عملية نقل الأسري اليونانيين إلي مصر أثناء الثورة فى بلاد المورة ، قامت الدول الأوربية باستغلالها واتخاذها كذريعة تبرر بها وقوفها إلى جانب اليونانيين ضد الدولة العثمانية والضغط على محمد على وإبراهيم باشا ، حيث إن هذه الدول أشاعت أن محمد على وإبراهيم باشا لايتورعان عن سفك دماء الأسرى وبيعهم فى الأسواق وإجبارهم على التحول عن دينهم ، ومثل هذه الادعاءات لايمكن الاعتداد بها حتي وإن كانت صادقة ، لأن محمد على وإبراهيم باشا لم يكونا مسئولين عن ذلك إذ أن الدولة العثمانية كانت هى التى تتولي أمر الأسرى ولم يكن بمقدور محمد على وإبراهيم باشا أن يغيرا من الأمر شيئاً . (١)

ويجب أن يوضع فى الاعتبار أن دفع مثل هذه الأمور عن محمد على وإبراهيم باشا ، ليس بمثابة إلقاء التبعية على الدولة العثمانية ، لأنها وإن فعلنت ذلك مع الأسرى اليونانيين ، فإنه لم يكن فيه خروج عن النهج الذى سار عليه العثمانيون فى جهادهم من قبل ضد البزنطينيين ، وفى أثناء حروب المورة ، فإن الظروف كانت تحتم عليهم أن يعاملوا الأسرى اليونانيين هذه المعاملة ، كما أنها لم تكن ببعيدة عما يفعله اليونانيون وغيرهم مع أسرى الدولة العثمانية .

---

(١) كريم ثابت : محمد على ، ص ١٢٧ .

ومن الأمور التى تدل على حسن معاملة محمد على وإبراهيم باشا للأسرى اليونانيين ، سماح إبراهيم باشا للبعض من الأوربيين بزيارة هؤلاء الأسري ، وتفقد أحوالهم إذ يشير إدوار چوان إلى أن سليمان بك والكولونيل سيف ، قاما بدعوة المسيو لوبلان Le B;anc قائد المدرعة الفرنسية للإطلاع على أحوال الأسرى وأنهما أخبراه بأن التفقد الذى سيجرى ... إنما هو بأمر سمو ابراهيم باشا وهو يأمرنا به كلما وصل فريق من الأسرى [1] وفى حقيقة الأمر فإن هذا الإجراء تم من أجل التأكد مما كانت تنشره الصحف من تجاوزات فى معاملة الأسرى ومعرفة ما إذا كانت مطابقة للواقع أم لأنها مجرد إفتراءات ، هذا وقد يعتقد البعض بأن مالمسه لوبلان من حسن معاملة الأسرى إنما يرجع لأن أمر هذه الزيارة قد تم ترتيبه من قبل وأن مايشهده لايخرج عن كونه نوعاً من الدعاية المضادة لنفى مايروج عن سوء معاملة الأسرى اليونانيين ، وفى حقيقة الأمر فإن مثل هذا الاعتقاد لايمثل الحقيقة فى شيء ، لأن الجانب الإنساني في معاملة الأسرى اليونانيين مان أمراص ثابتاً لدى إبراهيم باشا ، يؤكد ذلك أن أسقف مودون Modon عندما وقع فى الأسر سنة ١٨٢٥ ، لم يأمر ابراهيم باشا بقتله رغم قيامه من قبل فى سنة ١٨٢١ بتحريض اليونانيين على ذبح مسلمى نوارين [2] ولم يكن الأمر مقتصراً على ذلك فقط ، بل إن ابراهيم باشا لم يكن يبادر باستجواب الجرحى من الأسري إلا بعد أن يتم إسعافهم وتضميد جراحهم ، وفى بعض الأحيان كان يكلف طبيبه الخاص بعلاجهم [3].

وعموماً فإن الاهتمام بالأسرى اليونانيين لم يكن مقتصراً على حسن سلوك ابراهيم باشا معهم فى بلاد المورة ، بل إن محمد على وجه عنايته هو الآخر لمن يصل منهم إلى مصر ، فعندما تأكدت المعلومات بأن البعض من تجار الرقيق يتولون جمع الأسرى الذين وصلوا من بلاد المورة وإشاعتهم قيامهم بهذا العمل طبقاً لتوجيهات الجناب العالى - محمد على - ونظراً لأن هذه الادعاءات لم يكن لها أساس من الصحة ، فقد صدرت الأوامر بإجراء تفتيش على الأماكن التى يوجد فيها هؤلاء

---

(١) إدوار چوان : المرجع السابق ، ص ٧٦٦ ، ٧٦٧ .

(٢) محمد أحمد حسونه : إبراهيم باشا فى بلاد اليونان ذكرى البطل الفاتح ابراهيم باشا ، ص ٧٢ .

(٣) إدوار جوان : المرجع السابق ، ص ٧٦٧ .

الأسرى ، وفى الوقت نفسه ، صدرت التوجيهات بضرورة الاعتناء بأطفال الأسرى اليونانيين من حيث تربيتهم وتعليمهم [١] ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل إن محمد على أنفق المال لإخلاء سبيل من بيع بمصر وإعادته إلى بلاده [٢] ومن هنا يتضح أن ماأشاعه الأوربيون عن سوء معاملة الأسرى اليونانيين يعد أمراً مبالغا فيه وما يدحض ذلك أن بعض الأسرى اليونانيين رفض العودة إلى بلاده وفضل البقاء فى مصر عبد جلاء القوات المصرية عن المورة ، فيقول باركر Parker قنصل بريطانيا أن عدد هؤلاء الأسرى ٥٥٠٠ أطلق سراح أربعمائة ؛ وأما الباقون فضلوا البقاء فى مصر [٣].

٤- حروب الشام ١٨٣١ - ١٨٣٩.

إذا كانت مشاركة القوات المصرية فى إخماد الحركة الوهابية والثورة فى بلاد اليونان قد تمتا بإيعاز من السلطان العثمانى ، فالثابت أن حروب الشام ١٨٣١-١٨٣٩، كانت من أجل تحقيق أهداف محمد الخاصة .

خرجت القوات المصرية من معسكر الخانكة فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٣١ قاصدة بلاد الشام تحت قيادة ابراهيم باشا ، وبعد إجتيازها للحدود المصرية ودخولها الأراضى الشامية ، تابعت زحفها من ناحية البر والبحر فاستولت على يافا وحيفا.[٤] ثم واصلت تقدمها صوب عكا التى فرض عليها الحصار فى ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٣١ ، ونظراً لمناعة أسوارها وقوة تحصيناتها فقد طالت مدة حصارها لستة شهور ، ولم تستسلم إلا بعد أن تمكنت القوات المصرية كم تسلق أسوارها ، مما دفع المحاصرين بداخلها إلي رفع رايات الاستسلام مطالبين بالأمان [٥] . وتم القبض على عبد الله باشا والى عكا ، جيء به ومن معه إلى إبراهيم باشا ، ولما حاول بعض الجنود المحيطين بهم أن ينتزعوا أسلحتهم

---

(١) معية تركى : دفتر بدون نمرة ، وثيقة رقم ٥١٥ بتاريخ ١٤ من جمادى الثانية ١٢٤٣ (٢٤ يناير ١٨٢٦) من الجناب العالى إلى حبيب أفندى .

(٢) Dodwell, H.:op.cit, p79.

(٣) إدوار چوان : المرجع السابق ، ص ٧٦٢ ؛ محمد أحمد حسونه : المرجع السابق ، ص ٧٢ ؛ عبد الرحمن الرافعى ؛ المرجع السابق ، ص ٢١٤ ؛ جميل عبيد : المرجع السابق ، ص ١١٦.

(٤) على مبارك : الخطط التوفيقية لمصر ومدنها القديمة والشهيرة حـ١ ، ص ٧٤.

(٥) عبد الحليم حلمى محمود : رسالة في حروب ابراهيم باشا فى سوريا والأنضول والأيام الأخيرة للحكومة المصرية ، ص ١٦ .

أمرهم ابراهيم باشا بالرجوع عن ذلك وطمأن عبد الله باشا على حياته .[١] ويبدو أن ابراهيم باشا نظر إلى عبد الله باشا على أنه والى من ولاة الدولة العثمانية وليس كأسير من أسرى الحرب. [٢]

وعندما أبدى عبد الله باشا رغبته فى الحضور إلى مصر ، لبيت هذه الرغبة ، حيث أرسله إبراهيم باشا إلى حيفا تحت حراسة الأميرالاى سليم بك ، وفى ٢٩ مايو سنة ١٨٣٢ غادرها إلى الاسكندرية على ظهر السفينة « شهباز جهاد » التى وصلت ميناء الأسكندرية فى ٢ يونيه سنة ١٨٣٢ ، هذا ولقد بادر محمد على بإرسال زورقه الخاص وكخياه - نائبه - وثلاثة من حاشيته.[٣] لكى يكونوا فى استقباله ، ويشير البعض إلى الحفاوة وحسن الاستقبال اللذين استقبل بهما عبد الله باشا ، حيث نزل بدار الضيافة الخديوية هو وأفراد معيته البالغ عددهم مائة وخمسة وعشرون شخصاً [٤] تم استقبل محمد علي عبد الله باشا فى قصره بالأسكندرية إستقبالاً طيباً حيث يقول على مبارك « ... فقابله بها محمد على باشا بالإجلال وعامله بالإحسان » [٥] ومن مظاهر ذلك أن محمد على أجلس عبد الله باشا إلي جواره ، وقدمت له المشروبات ، وعندما احتشد البعض لرؤية عبد الله باشا ، أصدر محمد أمره بصرف الأهالى وأختلى بأسيره ، وعقب ذلك أمر بعودته ثانية إلى دار الضيافة التى ظل مقيما بها[٦] وتعهد محمد على بنفقاته ، كما حفظ أمواله ومجوهراته وحريمه [٧] وظل مهتما به إلى أن أطلق سراحه

---

(١) عبد المنعم الدسوقى الجميعى : الجيش المصرى وفتح عكا ١٨٣١ - ١٨٣٢ دراسة فى ضوء وثائق عابدين ، الطبعة الأولى ، ص ٢٠.

(٢) أسد رستم : حروب ابراهيم باشا المصرى فى سوريا والأناضول ، الجزء الأول ، ص ١٨

(٣) عبد الحليم حلمى محمود : المرجع السابق ، ص ١٦ .

(٤) أمين سامي : المرجع السابق ، ص ٣٩١ .

(٥) على مبارك : المصدر السابق ، حـ١ ، ص ٧٤ .

(٦) داود بركات : البطل الفاتح ابراهيم باشا وفتحه الشام ، ١٨٣٢ ، ص ١٩ .

(٧) لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى فى الشام ١٨٣١ - ١٨٤١ ، الطبعة الأولى ، ص ٥٢

فسافر إلى الأستانة فى أوائل شه يناير سنة ١٨٣٣.[١] هذه الحفاوه وذلك الاهتمام لم يكن أحد يتصور أن يسبغها محمد على على عبد الله باشا الذى تحصن بقلعة عكا لمدة ستة شهور وفى كنفه كان يجد خصوم محمد على المأوى ، لذا كان من المتصور أن تكون معاملة محمد على له على النقيض من ذلك تماماً ، ويعتقد البعض أن حسن معاملة محمد على لعبد الله باشا إنما يرجع إلى أن فرحة محمد على بفتح عكا وعلاقته الودية من قبل مع هذا الوالى أنسته ماكان بينهما من عداوة [٢] وفى حقيقة الأمر فإن تسامح محمد على مع عبد الله باشا إنما يرجع إلى أن التخلص من عبدالله باشا فى حد ذاته لم يكن هو الهدف الحقيقى الذى يسعى محمد على إليه ، وإنما اتخذ من توتر العلاقة مع عبد الله باشا ذريعة للتدخل فى بلاد الشام والسيطرة عليها تعويضاً له عما تكبده من خسائر فى المورة ، ويجب ألا يغيب عن الأذهان أن محمد على سبق وطلب من السلطان منحه حكم الشام .

أما واقعة حمص ٨ يوليو سنة ١٨٣٢ ، فقد كانت من المواقع الفاصلة التى خسر العثمانيون فيها ٢٠٠٠ قتيل و ٢٥٠٠ أسير عدا المدافع والذخائر [٣] . وبصرف النظر عما إذا كانت اعداد الأسرى العثمانين في حمص حقيقية أم مبالغ فيها ، فالثابت أن إبراهيم باشا عاملهم معاملة حسنة [٤] وقام بإرسالهم إلى عكا[٥] وبوصولهم إليها عرض عليهم العودة إلى بلادهم أو الانضمام للجيش المصرى [٦] ومثل هذا الأمر يدل

---

(١) داود بركات : المرجع السابق ، ص ١٩ . عقب توقيع سلح كوتاهية أرسل محمد على عبد الله باشا وهو وأسرته إلى الآستانة مع السفن العثمانية التي أسرت أثناء الحرب السورية الأولى ، وبعد ذلك التمس من السلطان العثمانى أن يسمح له بالذهاب إلى مكة ليقضى بها ما بقى من حياته ، وبعد حصوله على الإذن بذلك سافر إلى مكة وظل مقيماً فيها إلى أن وافته منيته بدلة الفضلة نقطة عمر طوسون : حرب سورية الأولى سنة ١٨٣٢ ، مجلة الجيش المصرى ، المجلد الرابع ، العدد الثانى ، يناير ١٩٤٢ ، ص ١٨٧ .

(٢) عبد المنعم الدسوقى الجميعى : المرجع السابق ، ص ٢٠.

(٣) بير كرابيتس : المرجع السابق ، ص ١٦٣؛ عبد الرحمن زكى : التاريخ الحربى لعصر محمد على الكبير، ص ٤١٥ .

(٤) عبد الحليم حلمى: محمود:المرجع السابق، ص ١٩؛ عبد الغفار محمد حسين :المرجع السابق،ص ١٩٧.

(٥) بيير كرابيتس : المرجع السابق ، ص ١٦٣؛ عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ، ص ٤١٧ .

(٦) أمين سامى : المرجع السابق ، ص ٣٩٩ ؛ داود بركات : المرجع السابق ، ص ٤٥ ؛ عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ، ص ٤١٧ .

على أن ابراهيم باشا فى انتصاراته المتتابعة فى الشام ووقوع الأعداد الكثيرة من الأسرى فى أيدى قواته ، لم يشأ أن يستخدمهم فى الجيش المصرى ، ويمكن القول : بأن السبب فى ذلك إعتقاده بأن اللجوء إلى مثل هذا الأمر يعد عديم الفائدة ومن الممكن أن يسبب له العديد من المشاكل ويوقع الجيش فى مخاطر غير مأمونه العواقب ، لأن الأسرى الذين يجبرون على ذلك سرعان مايفرون من صفوف الجيش الذى أجبروا على أن يكونوا ضمن أفراده عندما تتاح لهم الفرصة ، وبذا يكون خطرهم أكثر من نفعهم .

تقدم الجيش المصرى من حمص واحتل حماه بغير مقاومة [١] وقبيل أن يغادرها ابراهيم باشا إلى حلب ، أحضر إليه الجنود ستة أسرى[٢]. قام ابراهيم باشا باستجوابهم ومن خلال المعلومات التى أدلى بها هؤلاء الأسرى عرف إبراهيم باشا حقيقة الوضع في حلب من حيث القوة والضعف ومن بين هذه المعلومات أن «الباشوات ومعهم السرعكسر- الرئيس العام للجيش وقائد القواد - حسين باشا طلبوا من محكمة حلب إصدار حكم بتقديم المؤن للعساكر فأبت وأبي الأهالى تقديم هذه المؤن وتظاهروا بالعداء فغادر الباشوات حلب إلي عينتاب تاركين فى حلب ١٦ مدفعاً والخيام والذخيرة والمهمات » [٣] ومن ثم قرر إبراهيم باشا استغلال هذه الظروف المتردية فى حلب ، وتمكن من احتلال حلب دون أن تصادفه مقاومة ، وعلى الفور فإن قاضى حلب وأعيانها أعلنوا ولائهم لإبراهيم باشا [٤].

كانت خسائر العثمانيين فى قونيه ٢١ ديسمبر سنة ١٨٣٢ ما بين ٥٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ أسير بالإضافة إلى قائد الجيوش محمد رشيد باشا - الصدر الأعظم - وأعداد كثيرة من الضباط [٥] . وكان لوقوع قائد الجيش وهذا العدد من الجنود والضباط أسرى فى أيدى القوات المصرية ، علاوة على القتلى ، الأثر فى أن يطلب السلطان العثمانى تدخل الدول الأوربية [٦]وبالفعل أسفر هذا التدخل عن توقيع صلح كوتاهية فى ٨ أبريل

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ، ص ٢٣٦ .
(٢) داود بركات : المرجع السابق ، ص ٤٥ .
(٣) داود بركات : نفس المرجع ، نفس الصفحة .
(٤) داود بركات : نفس المرجع ، نفس الصفحة .
(٥) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ .
(٦) على مبارك : المصدر السابق ، ح١ ، ص ٧٤ .

سنة ١٨٣٣ . ومن الجدير بالإشارة إليه أن رشيد باشا أطلق سراحه ، وكان من الطبيعي ألا يقاتل الجيش المصرى ثانية ، غير أن شيئاً من هذا لم يحدث ، وأخذ يعد العدة لمقابلة الجيش المصرى على أمل أن ينتصر عليه ويمحو الهزيمة والعار الذى لحق به فى قونية . على أية حال فإن القدر لم يمهله طويلاً ، حيث توفى سنة ١٨٣٦ ، وخلفه فى قيادة الجيش العثمانى محمد حافظ باشا وهو أحد قادة الدولة العثمانية المشهورين[١]. ومن هنا يمكن القول : بأنه لم تكن هناك أية قيود على الأسرى إلى ميادين القتال عقب إطلاق سراحهم ، خاصة وأن المصادر لم تلق الضوء على ماكان يتبع مع الأسير الذى يطلق سراحه ، ثم يقع فى الأسر مرة أخرى .

وعلى العموم فإن معركة نصيبين ٢٤ يونية سنة ١٨٣٩ ، تعد من المعارك ذات الأهمية لحروب الشام وللجيش المصري الذى تمكن من أسر أعداداً كثيرة من العثمانيين تراوحت مابين ١٢ ألفاً و١٦ ألفاً من الجنود والضباط .[٢] ولما كانت هذه الإنتصارات التي يحققها الجيش المصرى ذات تأثير بالغ على توازن القوى ومصالح الدول الأوزوبية ، لذا فقد تصدت لمحمد على وأجبرته على الانسحاب من بلاد الشام .

ومن خلال موضوع سياسة محمد على فى معاملة الأسرى ١٨٠٧ - ١٨٣٩ تتضح بعض الحقائق التى تتمثل فى :

١ - أن معاملته للأسرى كانت تختلف باختلاف درجة ورتبة الأسير .

٢ - أنه استخدم أسري حملة فريزر على مصر سنة ١٨٠٧ استخداماً دعائيا جيداً ، حيث كان إستعراض الأسرى فى شوارع القاهرة ، له أثره فى رفع الروح المعنوية للشعب المصري والتفافه حول محمد علي ، ومن ناحية ثانية ، كان بمثابة إشارة للمماليك بعدم تقديم أية مساعدة للحملة .

٣ - حاول محمد علي الاستفادة من وجود الأسرى البريطانيين لديه فى مد جسور لإقامة علاقة طيبة مع بريطانيا ، وأكد هذا معاملته الحسنة ورعايته للأسرى البريطانيين

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ، ص ٢٧٠ .

(٢) عبد الحليم حلمى محمود : المرجع السابق ، ص ٣٧؛ عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ، ص ٢٨٠ ؛ على محمد شلبى : المصريون والجندية فى القرن التاسع عشر ، الطبعة الأولى ، ص ١٩٦ .

وإطلاق سراح مالديه من أسرى قبيل وأثناء توقيع إتفاقية جلاء الحملة فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٧.

٤ - ترتب على حسن معاملة محمد على للأسري إعتناق بعضهم للإسلام مثل توماس كيث الذى أسر أثناء حملة فريزر على مصر ، وتفضيل العديد منهم البقاء فى مصر ورفض العودة إلى بلده مثل ماحدث من أسرى حروب المورة .

٥ - أراد محمد على أن يتقرب من السلطان العثمانى ، بالقبض على مثيري الاضطرابات فى وجه الدولة العثمانية كما حدث في الحرب الوهابية وحروب المورة.

٦ - أن استجواب الأسرى والحصول على المعلومات كان من بين الأسباب التى ساعدت على تحقيق الانتصارات .

المصادر والمراجع:

أولاً، وثائق غير منشورة،

١ - معية تركى : دفتر بدون نمرة .

٢ - معية تركى : دفتر رقم ١٣ .

٣ - معية تركى : دفتر رقم ١٦.

٤ - محفظة (١٠) بحراً براً .

ثانياً، المقالات العربية،

١ - عبد الرحمن زكى حرب المورة ونصيب مصر فيها ١٨٢١ - ١٨٢٧، مجلة الجيش ، المجلد الحادي عشر ، العدد الرابع والأربعون ، يناير - مارس ١٩٤٩ .

٢ - عمر طوسون : حرب سورية الأولى سنة ١٨٣٢ ، مجلة الجيش المصرى ، المجلد الرابع ، العدد الثانى ، يناير ١٩٤٢ .

ثالثاً، الرسائل العلمية،

١ - أحمد فريد على مصطفى : توسع مصر فى الشام وأثره فى موقف الدول من المسألة المصرية فى عصر محمد علي ١٨٣١ - ١٨٤١ ، رسالة ماجستير غير منشوره ، كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٥٥ .

٢ - السيد سيد أحمد توفيق دياب : البحرية المصرية خلال فترة حكم الخديو إسماعيل ١٨٦٣ - ١٨٧٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة طنطا ١٩٨٥ .

٣ - محمود السيد عبد العال : أسطول مصير الحربى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الأسكندرية ١٩٦٧.

رابعاً، المصادر والمراجع العربية.

١ - أحمد فهيم بيومى : حرب كريت والمورة ، ذكرى البطل الفاتح ابراهيم باشا ١٨٤٨ - ١٨٤٩ ،الجمعية المصرية للدراست التاريخية ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٨ .

٢ - إدوار چوان : ترجمة محمد مسعود ، مصر فى القرن التاسع عشر ، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٢١ .
٣ - أسد رستم : حرب ابراهيم باشا المصرى فى سوريا والأناضول ، الجزء الأول ، المطبعة السورية بمصر الجديدة ١٩٢٧ .
٤ - إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، لجزء الثانى ، المطبعة الأهلية ١٣١٦هـ .
٥ - الأمير محمد على : مجموعة خطابات وأوامر خاصة بالمغفور له عباس باشا الأول، بدون .
٦ - أمين سامى : تقويم النيل ، الجزء الثانى ، الطبعة الأولى ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٨ .
٧ - بيير كرابيتس : ترجمة محمد بدران ، ابراهيم باشا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٧ .
٨ - جميل عبيد : قصة إحتلال محمد على لليونان ١٨٢٤ - ١٨٢٧ ، تاريخ المصريين العدد (٣٩) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ .
٩ - چوهان لودفيج بوركهارت : ترجمة عبد الله الصالح العثيمين ، مواد لتاريخ الوهابيين ، الطبعة الأولى ، الرياض ١٩٨٥.
١٠ - داود بركات : البطل الفاتح إبراهيم باشا وفتحه للشام ١٨٣٥ ، المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٢٤.
١١ - رأفت غنيمى الشيخ : مسيرة مصر والسعودية تحقيق لهدف عربى إسلامى واحد، ندوة العلاقات المصرية السعودية ، جامعة الزقازيق ١٩٨٧.
١٢ - عبد الجواد صابر إسماعيل : حرب المورة الجولة الأولى ١٨٢٣ - ١٨٢٥ ، دراسة وثائقية ، الطبعة الأولى ، مطبعة الحسين الإسلامية ، القاهرة ١٩٨٩ .
١٣ - عبد الحليم حلمى محمود : رسالة فى حروب ابراهيم باشا فى سوريا والأناضول والأيام الأخيرة للحكومة المصرية ، مكتبة دار الوثائق القومية ، بدون .

١٤ - عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، حـ ٤ بولاق القاهرة .
١٥ - عبد الرحمن الرافعـــى : عصر محمد على ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٢ .
١٦ - عبد الرحمن زكى : التاريخ الحربى لعصر محمد علي الكبير ، دار المعارف ، بمصر ١٩٥٠ .
١٧ - عبد العزيز عبد الله آل الرشيد : جهود الملك عبد العزيز في خدمة العقيدة الإسلامية ، الرياض ١٩٨٥ .
١٨ - عبد العزيز محمد الشناوي : عمر مكرم بطل المقاومة الشعبية ، أعلام العرب ، العدد (٦٧) دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ .
١٩ - عبد العظيم رمضان : تاريخ الأسكندرية فى العصر الحديث ، تاريخ المصريين العدد (٦١) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣ .
٢٠ - عبد الغفار محمد حسين : بناء الدولة الحديثة في مصر ، الجزء الأول ، دار المعارف ١٩٨٠ .
٢١ - عبد المنعم الدسوقى الجميعي : الجيش المصري وفتح عكا ١٨٣١ - ١٨٣٢ ، دراسة في ضوء وثائق عابدين ، الطبعة الأولى ، مطبعة الجبلاوي - القاهرة ١٩٨٧ .
٢٢ - على مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، ٢٠ جزء ، القاهرة ١٣٠٦ هـ .
٢٣ - علي محمد شلبى : المصريون والجندية في القرن التاسع عشر ، الطبعة الأولي ، دار الكتاب الجامعى ، القاهرة ١٩٨٨.
٢٤ - كريم ثابت : محمد على ، الطبعة الثانية ، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ١٩٥٠.
٢٥ - كلوت بك : تعريب محمد مسعود ، لمحة عامة إلى مصر ، مطبعة أبى الهول ، بدون .
٢٦ - لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى فى الشام ١٨٣١ ١٨٤١ ، الطبعة الأولي ، مطبعة الجبلاوي ، القاهرة ١٩٨٣ .

٢٧ - محمد أحمد حسونه : إبراهيم باشا فى بلاد اليونان ، ذكري البطل الفاتح إبراهيم باشا ١٨٤٨ - ١٩٤٨ ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٨ .

٢٨ - محمد عبد الرحمن حسين : نضال شعب مصر ١٧٩٨ - ١٩٥٦ ، منشأة المعارف، الأسكندرية ١٩٧٠ .

٢٩ - محمد على الأنس : قاموس اللغة العثمانية الدرارى اللامعات فى منتخنبات اللغات ١٣٢٠ هـ .

٣٠ - محمد محمود السروجي : الجيش المصرى فى القرن التاسع عشر ، دار العارف ، القاهرة ١٩٦٧ .

خامساً، المراجع الأجنبية .

1-Dodwell, H.: The Founder of kmodern Egypt, study of Mohammad Ali, Cambridge,1931.

1-Marlowe, J.: Anglo Egyptian relations 1800 - 1953, London,1954.